النمو الحضري لمدينة بغداد وفق كتابات الرحالة المقدسي
دراسة جغرافية – تأريخية

أ. م. د. منتهى طعيمة عناد
الجامعة المستنصرية – كلية التربية الأساسية – قسم الجغرافية
montha.edbs@uomustansiriyah.edu.iq

م .د. نغم احمد مصلح
الجامعة المستنصرية – كلية التربية الأساسية – قسم الجغرافية
nagam.edbs@uomustansiriyah.edu.iq

مستخلص البحث:
يتناول البحث مفهوم النمو الحضري واهم العوامل التي ساعدت على تحضر مدينة بغداد عاصمة الخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري ، وفق رؤية الرحالة المقدسي في كتابة ((احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)) لعام 375 هـ /985 م ، والذي يعد واحداً من اشهر مصادر الجغرافية البشرية عند الجغرافيين العرب المسلمين والأجانب ، لتميزه بوصف الخصائص الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لسكان الأقاليم الإسلامية آنذاك ، إضافة الى وصف وتحليل البنية الحضرية للمدن الإسلامية ، والربط بين التنظيم العمراني والدور الاقتصادي والاجتماعي للمدينة .

الكلمات المفتاحية : النمو الحضري ، المقدسي ، مدينة بغداد .

المقدمة :
لم يكن الرحالة المقدسي مجرد رحالة عابر بل باحثاً استقصائياً في كتابه الذي اعتمد فيه على معايير دقيقة في تصنيف العالم الإسلامي وتوزيعة ادارياً ومكانياً ، وفق ترتيب هرمي يبدأ بالإقليم ثم الكور والقصبات والنواحي انتهاءً بالقرى ، مع التركيز على عوامل تحضر المدن الإسلامية وتخطيطها العمراني وعلية سنحاول في هذا البحث تسليط الضوء على رؤية المقدسي حول مفهوم النمو الحضري ومدى توافقها مع الباحثين المعاصرين في مجال الجغرافية الحضرية ، واهم معايير التحضر التي ساعدت على نشأة المدن الإسلامية وتطورها .

مشكلة البحث: يمكن صياغة مشكلة البحث وفق الاتي :
ماهي اهم المعايير التي اعتمد عليها المقدسي في تحضر مدينة بغداد بوصفها نموذجاً حضرياً متكاملاً في القرن الرابع الهجري .

فرضية البحث: للمقدسي دور كبير في بيان اهم المعايير التي ساعدت على تحضر المدن العربية الإسلامية ،منها معيار الموقع الجغرافي ،المعيار الاقتصادي والاجتماعي ، البنية العمرانية والمؤسسات الخدمية .

هدف البحث :
يهدف البحث الى بيان البنية الحضرية للمدن العربية الإسلامية وتحديداً مدينة بغداد في القرن الرابع الهجري من خلال كتاب المقدسي " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " .

منهجية البحث :
اعتمد البحث المنهج الاستقرائي من خلال اعتماد النص الجغرافي للمقدسي في كتابه ومقارنتها بمصادر جغرافية معاصرة ، هذا بالإضافة الى المنهج الموضوعي الذي اعتمد في كتابه البحث .

هيكلية البحث :

قسم البحث الى ثلاث محاور رئيسة ، تناول المحور الأول تعريف المقدسي ومفهومة للنمو الحضري ومدى توافقه مع المستشرقين الذين اهتموا بنمو المدن الإسلامية ، وخصص المحور الثاني لرؤية المقدسي للنمو الحضري في المدن الإسلامية ، اما المحور الثالث فتناول معايير التحضر في مدينة بغداد في القرن الرابع الهجري .

المحور الاول: نبذة تأريخية عن المقدسي :

ولد الرحالة الجغرافي المقدسي "شمس الدين محمد بن احمد المقدسي" سنة (335هـ -947 م) في بيت المقدس في فلسطين . وهو يعد من ابرز الرحالة الجغرافيين في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي من خلال كتبة التي صور لنا فيها الحياه العامة لأقاليم وبلدان العالم الإسلامي بما فيها من جوانب سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وما الى ذلك. تميز المقدسي بمنهج وصفي تحليلي اعتمد على المشاهدة الميدانية المباشرة جاب معظم أقاليم العالم الإسلامي وسجل ملاحظاته حول المدن في كتابة " احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " والذي يمثل مصدراً اساسياً لدراسة التنظيم الحضري والخصائص العمرانية للمدن آنذاك **(محمد علي، 2023، ص 432)**.

وقد أولى في كتابه عناية خاصة بمدينة بغداد بعدّها مركز الخلافة العباسية ومركز الثقل الاقتصادي والسياسي والعلمي والذي ساعد في تشكيل نسيجها الحضري ، والذي وفر قراءة معاصرة نسبياً لتحولات المدينة بوظائفها وبنيتها الداخلية ، أي بعبارة أخرى ان المقدسي من خلال ملاحظاته الوصفية للمدن الإسلامية رأى ان النمو الحضري يقوم على نظام مترابط من العوامل (الطبيعية ، الإدارية ، الثقافية ....الخ) التي تعمل مجتمعة على ازدهار المدن والتي سنتناولها فيما بعد .

مفهوم النمو الحضري عند المقدسي والباحثين المعاصرين في مجال الجغرافية الحضرية

يعرف النمو الحضري عند المقدسي بأنه عملية تطور تدريجي في حجم المدينة ومكانتها الإقليمية، وهذا التطور في الحجم ينبع من تفاعل الموقع الجغرافي والنشاط الاقتصادي والإداري والديني والاستقرار السياسي الذي يؤدي الى اتساع شبكة علاقة المدينة مع محيطها (عثمان ، 1978، ص 37) ، وهذا ما يؤكده باحثون معاصرون في دراساتهم الجغرافية للمدن الإسلامية مثل جمال حمدان الذي ابرز العامل الوظيفي وتفاعله مع العامل السياسي والديني والاقتصادي والذي يؤدي الى نمو المدينة ، بعبارة أخرى ان النمو الحضري هو توسع مكاني ووظيفي يرتبط بمكانة المدينة داخل الإقليم حيث تتكامل الوظائف الدينية والإدارية والتجارية لتشكل نواة حضرية تتوسع تبعاً لقوة الدولة وازدهار نشاطها الاقتصادي ، كما يرى الدكتور صالح اللمعي مصطفى وهو من ادق المحللين لعملية تكون المدينة الإسلامية ، ان المدينة كيان حي ينمو ، يبدأ هذا النمو من نقطة مركزية هي المسجد وإدارة الامارة ثم تنمو حول المسجد الأسواق **(حمدان ، 1964، ص128).**

اما المستشرقين الذين اهتموا بنمو المدن الإسلامية ، منهم غوستاف فون المستشرق والمؤرخ النمساوي الذي ولد في النمسا عام 1909 والذي يعتبر من الشخصيات البارزة في مجال الدراسات العربية والإسلامية في القرن العشرين .

ركزت ابحاثه حول الحضارة الإسلامية والإسلام والتمدن ، اكد ان الإسلام دين يشجع على حياه المدن وتطورها ، وان المسلمين اسسوا المدن لتطبيق شعائر الدين ، مما أدى الى حركة تمدن واسعة **(عبد الرحمن ، 1993، ص182).** وهو بهذا يتوافق مع ما جاء به الجغرافي المقدسي فيما يخص النمو الحضري للمدن الإسلامية منها الدور المحوري الذي يؤديه الدين الإسلامي كقوة دافعة للنمو الحضري ، فهو دين يشجع على حياه الاستقرار والتمدن ففي كتابة " اسلام العصور الوسطى " اكد فيه على ان الإسلام يفضل المدينة وهو بهذا يتوافق مع المقدسي في كتابة " احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم "فقد ركز فيه المقدسي على وصف المدن (الامصار) والبلدان (القصبات) كونها قلب العالم الإسلامي النابض بالحياة . كما اهتم بوصف المساجد والأسواق والحياة الاجتماعية ، داخل هذه المراكز الحضرية **(المقدسي ، 2003، ص219)**. وهذا يعكس رؤية غوستاف ، ان المدينة هي البيئة المثالية لازدهار المجتمع المسلم باعتبار ان الإسلام دين حضري بطبيعته .

كما أشار ان المدن تأسست كضرورة دينية وإدارية ، وان المسلمين الأوائل اسسوا مدن جديدة (الامصار) مثل البصرة ، الكوفة ، ليس كمعسكرات للجيش بل لإداء شرائط الدين (الصلاة ، تطبيق الشريعة الإسلامية) ، وهذا يتطابق مع المقدسي في تصنيف المدن ، فالمعيار الأساسي لدية لاعتبار مكان ما مدينة هو وجود مسجد الذي يعتبر مركز لإقامة الشعائر الدينية ، وإدارة شؤون الإقليم .

وعلية فكلاهما يرى ان الوظيفة الدينية والإدارية هي حجر الزاوية التي تساعد على وجود المدينة الإسلامية ونموها الحضري . كما اكد غوستاف ان النمو الحضري للمدن الإسلامية كان متزامناً مع النمو الفكري والثقافي ، حيث يرى ان الحضارة الإسلامية كانت حضارة مدن بامتياز ، حيث ازدهرت العلوم والفنون والادب في مراكز حضرية مثل بغداد ، قرطبة ، دمشق ، وهذا نجده في وصف المقدسي للحياة الفكرية في المدن التي زارها ومنها بغداد ، فهو لم يكتفي بوصف المباني بل وصف المذاهب الفضية السائدة والعلماء البارزين ، بل وحتى الخصائص اللغوية والثقافية للسكان .

لذا نجد ان غوستاف فون قدم تصور نظري لما وصفة المقدسي الذي اظهر المدينة الإسلامية مركزاً للحياة الدينية والاجتماعية حيث ارجع ذلك الى طبيعة الدين الإسلامي نفسة الذي يرى في المدينة المكان الأمثل لتحقيق مبادئه وازدهار حضارته . اما المستشرق والمؤرخ الفرنسي موريس لومبارد حيث يرى موريس ان التجارة محرك أساسي للنمو الحضري في المدن الإسلامية ، ففي نظره المدن لم تكن مجرد مراكز دينية او إدارية ، بل كانت عقداً تجارية حيوية على شبكة واسعة من الطرق البرية والبحرية ، وهذا يتطابق مع ما قدمة المقدسي في كتابة الذي وصف فيه الأسواق بالتفصيل وأنواع السلع التي تشتهر بها كل مدينة وتتاجر بها ، كما أشار الى غنى بعض المدن ومقدار الضرائب التي تجنى منها مما يدل هذا على نشاطها الاقتصادي ، فعلى سبيل المثال وصف البصرة بأنها (خزانة العرب) وهو وصف يحمل دلالة اقتصادية وتجارية كانت تتمتع بها هذه المدينة خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، بسبب موقعها الجغرافي الاستراتيجي الذي جعل منها مستودع ضخم للبضائع القادمة من الشرق والغرب متمثلة بسفن التوابل من الهند والمنسوجات والمعادن والاخشاب من الصين ، وهذا دليل ميداني على نظرية لومبارد بأن التجارة ساعدت على بناء هذه المدن وتطورها ، كما ساعدت التجارة على الإنتاج الصناعي داخل المدن ، وهذا يتوافق مع

ملاحظات المقدسي حول ذكر الصناعات التي تنمو بها كل مدينة . وعلية يتفق كلاهما بان المدينة الإسلامية نموها الحضري لم يكن بسبب الدور الديني والثقافي للمدينة فحسب بل يعود بالأساس الى الدور الاقتصادي التجاري .

المحور الثاني : رؤية المقدسي للنمو الحضري في المدن الإسلامية:

قسم المقدسي العالم الإسلامي (مملكة الإسلام) في القرن الرابع الهجري ، والتي تمتد من حدود الصين الغربية شرقاً الى المحيط الأطلسي غرباً ، الى 14 اقليماً ، 6 عربية و 8 أقاليم اعجمية ، وباديتين ، هما بادية العرب وهي الصحراء التي تحيط بجزيرة العرب وتمتد بين العراق والشام ومصر والحجاز ، وصفها المقدسي بأنها ام البوادي ، وجعل لها طرقاً محددة تربط بين الأقاليم العربية . وبادية المفازة (بادية الاعاجم) ، وهي الصحراء التي تفصل بين أقاليم المشرق وفارس ، وقد أوضح المقدسي ان هذه الأقاليم نشأت لأغراض إدارية او سياسية او اقتصادية ، وكل إقليم يتميز عمن سواه في المناطق بخصائص معينة (دينية ، إدارية ، بيئية ، لغوية) .

كما قسم الإقليم الى كور (وحدة إدارية تتكون من مجموعة من المدن والقرى لها حدود معروفة ، وفي الغالب يكون لها مركز اداري او مدينة رئيسة تدير شؤونها) وهي تشبه القضاء في الوقت الحاضر . والكور تقسم الى قصبات والقصبات الى مدن رئيسية للكور والتي تعد مقر الإدارة والحكم ومكان لتجمع النشاط الاقتصادي والتجاري لسكان القرى والبلدان المجاورة **(المقدسي ، 2003، ص82)** .

يعكس هذا التقسيم التدرج الحضري والإداري في مدن العالم الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري .

تقسيم الأقاليم العربية عند المقدسي كما يلي : ينظر (خريطة 1)

1- إقليم جزيرة العرب : يقصد المقدسي بجزيرة العرب ، الإقليم الواقع بين البحر الأحمر والخليج العربي ويمتد شمالاً حتى بادية الشام ، ويضم كل من الحجاز ، اليمن ، اليمامة ، عمان ، البحرين ، وهو بهذا يتفق مع ما أورده الجغرافي والمؤرخ ياقوت الحموي في تحديد حدود هذا الإقليم الذي يمتد بين بحر القلزم والبحر الأحمر والخليج العربي **(الحموي ، 1993، ص159).**

وقد وصف المقدسي هذا الإقليم بالبداوة وانتشار القبائل العربية في الصحارى الشاسعة وضعف وتدهور المدن المركزية فيه منها قلة والمدينة المنورة ، والتي كان عمرانها مرتبط بشكل أساسي بخدمة الحج والكعبة المشرفة ، وقبر الرسول محمد (ص) ، وحتى مدن الإقليم الأخرى والتي كان لها أهمية سياسية واقتصادية في الماضي ، ولم يرصد نمواً حضرياً في إقليم جزيرة العرب ، نتيجة انتقال عاصمة الخلافة فيها من المدينة الى الكوفة ثم دمشق ثم بغداد ، بالإضافة الى الاضطرابات السياسية التي كانت في شرق الجزيرة العربية .

خريطة (1) إقليم العالم الإسلامي

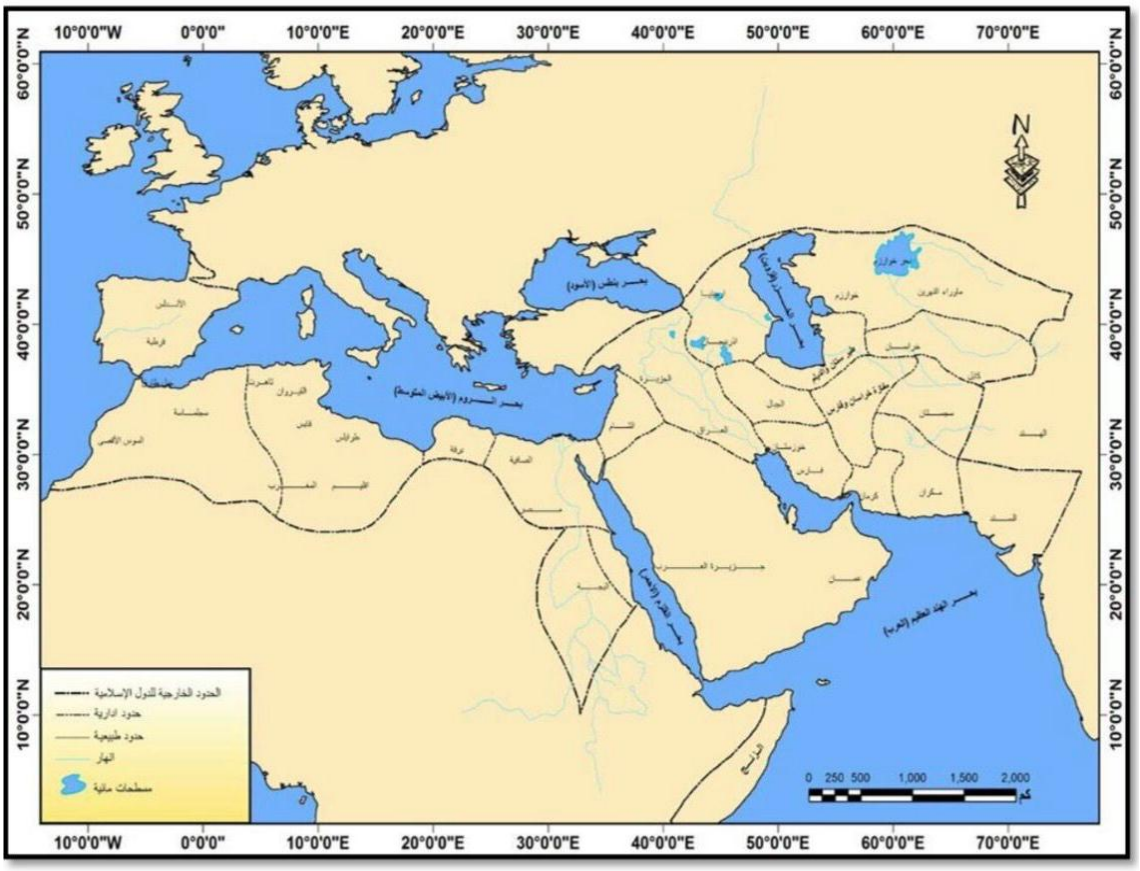

(سوسة، 1974، ص107)

2– إقليم العراق : يمتد هذا الإقليم عند الجغرافيين الأوائل بين إقليم الجبال (شمال غرب ايران) شرقاً ، وبادية الشام غرباً ، وإقليم اقور (الجزيرة الفراتية العليا) شمالاً ، والخليج العربي وصحراء جزيرة العرب جنوباً ، قام المقدسي بتحليل إقليم العراق وتفكيكه الى وحداته الإدارية الداخلية (الكور) وكل كورة تضم مجموعة من المدن والقرى ، واهم هذه الكور هي ينظر خريطة (2) :

أ- كورة سر من رأى ((سامراء)).

ب- كورة الكوفة .

ج- كورة البصرة .

د- كورة واسط .

هـ- كورة بغداد .

و – كورة حلوان : تقع شرق العراق عند الحدود مع بلاد فارس وتعتبر خانقين احد نواحيها(**المقدسي ، 2003 ، ص 85 – 125)** .

ان هذا التقسيم السداسي للإقليم يعكس فهماً دقيقاً للتنظيم الإداري في القرن الرابع الهجري ، وهو لم يكتفي بذكر مدنه الرئيسية والمسافات بل تطرق الى النسيج الاجتماعي والاقتصادي فيه ، بل وحتى الجانب البشري والثقافي (طبائع الناس ، المذاهب الفقيه السائدة) ، كما تناول الخصائص العمرانية للمدن الكبرى كبغداد ، سامراء ، البصرة .

وهو بهذا يختلف عن سابقيه من الرحالة الجغرافيون المسلمين ، ومنهم ابن حوقل الذي عاصر المقدسي او سبقه بقليل ، حيث ركز ابن حوقل على تحديد الحدود الخارجية للإقليم ووصف الجانب السياسي والإداري العام (**الدليمي ، 2006، ص177)** .

3-إقليم اقور : يقع هذا الإقليم بين دجلة والفرات ، يمتد من العراق والشام ، قسم المقدسي الإقليم الى ثلاث كور رئيسية هي (الموصل ، ديار ربيعه، ديار بكر) .

وقد وجد المقدسي ان هذا الإقليم من اكثر الأقاليم الإسلامية حيوية في القرن الرابع الهجري ، نتيجة لتفاعل عدة عوامل طبيعية واقتصادية ودينية جعلت من مدنه الكبرى مراكز عمرانية مزدهرة **(المقدسي ، 2003، ص126) .**

4– إقليم الشام : يحد هذا الإقليم من الشرق نهر الفرات ومن الغرب البحر المتوسط (بحر الروم) ومن الشمال الدولة البيزنطية ومن الجنوب العريش التي تقع عند الحدود المصرية ، قسم المقدسي هذا الإقليم الى سبعة كور رئيسة :

- كورة دمشق ، تضم مدينة دمشق وما حولها من القرى .
- كورة حمص .
- كورة قنسرين تضم مدينة حلب .
- كورة الأردن وتضم مدينة طبريا وبيسان .
- كورة فلسطين تشمل كل من مدينة القدس ، الرملة ، الخليل ، غزة .
- كورة الساحل وتشمل مدينة صور ، عكا ، طرابلس ، صيدا .
- كورة الثغور الشمالية تضم مدينة انطاكية ، طرطوس ، اذنة .

وقد أشار المقدسي الى ان الشام من الأقاليم الغنية بالتنظيم العمراني والاقتصادي والذي ساعد على وجود شبكة حضرية متكاملة فيها .

خريطة (2) كور إقليم العراق في القرن الرابع الهجري

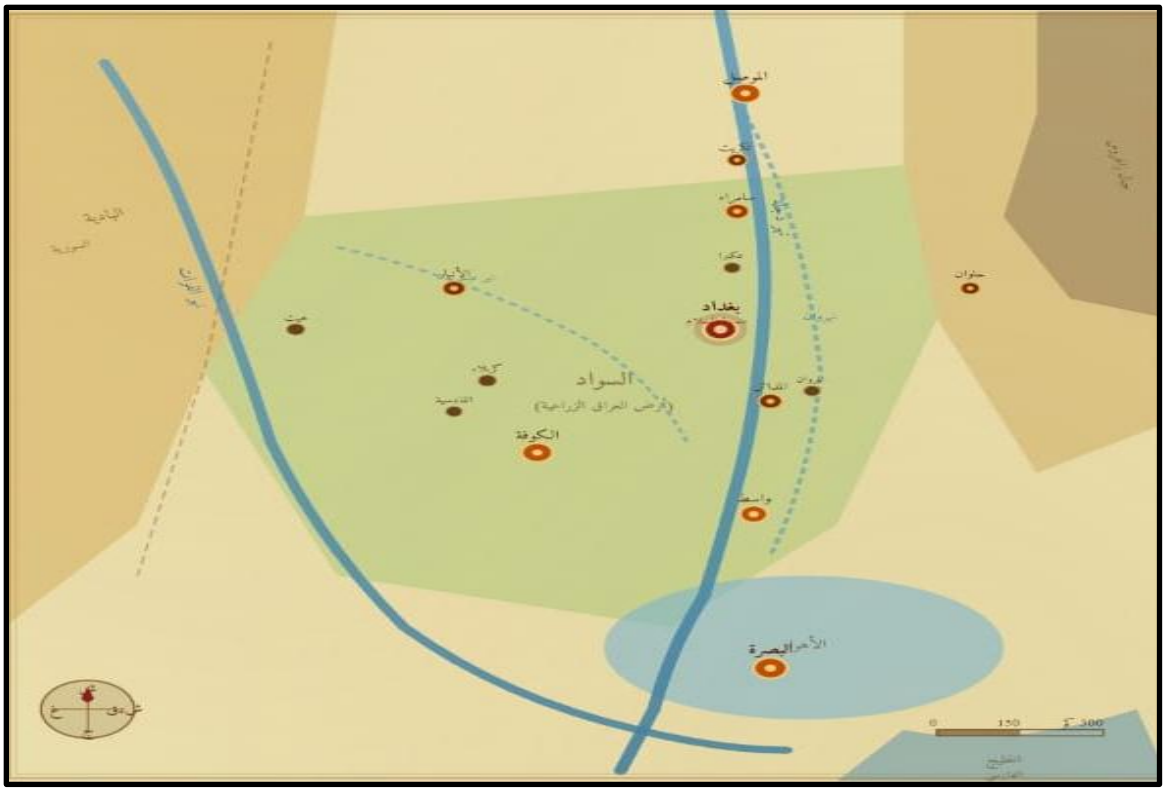

(المقدسي ، 2003 ، ص163)

5- إقليم مصر : قسم المقدسي هذا الإقليم الى سبع كور بناءً الى مجرى نهر النيل ، الذي يحدد حدود الكورة وهويتها ، وهي كل من الجفارة التي تقع في الجهة الشرقية من إقليم مصر ، رابطة بين مصر والشام ، واهم مدنها (العريش ، رفح) وكورة الريف ، الجوف التي تقع كل منها في الجانب الشرقي والغربي من دلتا النيل ، الإسكندرية ، المقدونية ، الصعيد ، الواحات .

يصف المقدسي إقليم مصر بأنه من اعظم أقاليم الدنيا نظراً للخصائص البشرية والعمرانية والاقتصادية التي تتمتع بها مدن هذا الإقليم منها الفسطاط التي تعد قلب هذا الإقليم ، فقد وصفها بأنها نسخة من بغداد في عمرانها واسواقها ومعايشها ، حيث أشار اليها في كتابة بأنها (ناسخة بغداد ومفخر الإسلام ومتجر الانام) **(المقدسي ، 2003 ، ص 193)** .

6- إقليم المغرب: يحد هذا الإقليم من جهة الشرق برقة (ليبيا) ومن الغرب البحر المحيط (المحيط الأطلسي) ، ومن الشمال بحر الروم (المتوسط) ومن الجنوب السودان ورمال الصحراء الكبرى ، قسمة المقدسي الى ست كور أساسية هي كورة برقة افريقيا (تونس) ،(تاهرت الجزائر) ، السوس (جنوب المغرب) ، فاس (شمال المغرب) ، سجلماسه (الجنوب الشرقي للمغرب) .

وقد أضاف لهذا الإقليم كورة صقلية ، التي يرى المقدسي انها امتداد طبيعي لليابسة المغربية للتشابه في المذهب والعادات والتجارة **(المقدسي ، 2003 ، ص 215).**

لقد صور المقدسي التحضر في مدن المغرب العربي بأنها عملية ناتجة عن صراع الانسان مع الطبيعة الوعرة من جهة وتنافس المذاهب والدول من جهة أخرى ، وهي تختلف عن مدن الشرق ، فلكل كورة لها هوية عمرانية واضحة ، اما بسبب الجبال الشاهقة التي تعيق النمو الحضري او بسبب الاضطرابات السياسية التي تجعل التحضر في حالة قلق دائم .

اما بالنسبة لإقاليم العجم ، فقد صنفها المقدسي بناءً على الخصائص الجغرافية ، والإدارية واللغوية الى إقليم المشرق يقع خلف نهر جيحون ويضم عدداً من المدن أهمها :الشاش ، بخارى سمرقند (اسيا الوسطى) وقد اكد ان هذا الإقليم اكثر أقاليم العجم نمواً حضرياً ، وصفة بأنه (أجل الأقاليم وأكثرها اجله وعلماء ومعدن الخير ومستقر العلم) **(المقدسي ، 2003 ، ص 260)** .

أ- إقليم الديلم (جنوب بحر قزوين ، إقليم الرحاب (أرمينيا ، أذربيجان) .

ب- إقليم الجبال (أصفهان ، همدان ، الري) إقليم خوزستان (الاهواز حالياً) .

ج- إقليم فارس (شيراز وضواحيها) إقليم كرمان (يقع شرق إقليم فارس) .

د- إقليم السند (المناطق المحاذية لنهر السند باكستان الحالية) **(سعيد ، 2012، ص148)** .

المحور الثالث: معايير النمو الحضري لمدينة بغداد عند المقدسي

قسم المقدسي الإقليم في كتابة "احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " الى عدة مستقرات بشرية ، تعكس الهيكل الإداري والوظيفي للمدن في العالم الإسلامي خلال عصره ومن ابرزها :

1– **المصر :** يعرف المصر عند المقدسي بأنه كل بلد اقام فيه السلطان الأعظم وجمعت اليه الدواوين ، وتوطنت فيه الاعمال والنشاطات المختلفة ، ويكون عاصمة للإقليم ، كما في بغداد عاصمة إقليم العراق **(المقدسي ، 2012 ، ص 47)** .

وهنا يبرز الدور المركزي السياسي والإداري والاقتصادي لعاصمة الإقليم ، وهو بهذا يشابه مفهوم العاصمة في الوقت الحاضر التي هي مركز السلطة السياسية والاقتصادية والمالية .

2– مدن الرستاق: هي المنطقة الزراعية التي تتميز بتربتها الجيدة ومياهها الوفيرة ، ويغلب عليها الطابع الزراعي ، والرستاق كلمة فارسية الأصل تعني الريف ، تعمل على دعم المدن الكبرى (الامصار) بالمواد الغذائية خاصة الحبوب والتمور والخضروات . منها رستاق بغداد التي أشار اليها بأنها مناطق ريفية محيطة بها تشكل جزءاً مهم من عمرانها واقتصادها . كما أشار الى الرستاقات المحيطة بمدن إقليم العراق والتي تعد مخزن المدن من الغذاء والخراج (ولكل كورة من كور العراق رستاق يحيط بها ، فيه القرى والضياع، ومنه تكون الاقوات واليه تنسب العمارة) **(المقدسي ، 2003 ، ص125)** .

وهو بهذا يشير الى وجود علاقة تكاملية وظيفيه بين المدينة ومحيطها وهو يتوافق اليوم مع نظريات المناطق الحضرية الوظيفية ((Function Urban Aress)) التي ترى ان المدينة والريف شبكة واحدة متكاملة اقتصادياً واجتماعياً .

3– مدن الثغور : اطلق العرب المسلمين مصطلح الثغور على المدن المتاخمة لأراضي الدولة البيزنطية وبلاد فارس ، وهو الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين المسلمين وغيرهم . كما انها مدن على الحدود ذات مواقع ستراتيجيه بالنسبة لمملكة الإسلام آنذاك .
فهي تعمل كتجمعات لقوات عسكرية ضاربة وكمنظومة انذار مبكر لمرصد تحركات العدو وتأخير تقدمه نحو عواصم الإقليم . وقد ذهب المقدسي في كتابة الى ابعد من ذلك من خلال وصفها مراكز للتبادل الحضاري بين عالمين ، حيث وصف عمرانها واختلاف سكانها في كلامهم والوانهم ومذاهبهم **(سالم ، 2025، ص24)** . واحد أسباب ذلك تعود الى ان الدولة العربية الإسلامية في زمن الخلافة العباسية شحنت هذه المدن بالسكان من مختلف شعوب المشرق والمغرب الإسلامي **(عبد الحميد ، 2023 ، ص727)** .
لقد ادرك المقدسي قبل الف سنة اهميه الموقع الستراتيجي لمدن الثغور وما تمتاز به هذه المدن من ازدواج للوظيفة التجارية والعسكرية ، والهوية المركبة لسكانها والطابع الديمغرافي المتقلب نتيجة وقوعها عل خط التماس بين الحضارة الإسلامية والبيزنطية والتي لم يتغير كثيراً عما هو علية الان .
4– الناحية : هي الوحدة التنظيمية الأدنى في الهيكل الإداري للدولة ، تضم قرية واحدة او مجموعة من القرى والمزارع التابعة لها ، هي حجر الأساس في التقسيم الإداري للمقدسي الذي اعتمده في وصفة للإقليم مع الاهتمام بوصف الخصائص البيئية ومواقعها الجغرافية سواء كانت ساحلية ام داخلية . يلاحظ ان تعريف الناحية عند المقدسي والذي حددها ضمن معايير جغرافية وقبلية واجتماعية لم يختلف كثيراً عن مفهوم الناحية وفق التقسيمات الإدارية في الوقت الحالي التي تضم مجموعة من القرى يرأسها مدير ناحية مسؤول عن إدارة الشؤون المالية والخدمية لها .
5– القرية :
تعرف القرية في الكتب الجغرافية على انها بلدة اصغر من المدينة يغلب على سكانها الفلاحة ورعاية المواشي ، توجد فيها الأبنية والمساكن **(الجياشي ، 2010، ص17)** . اما المقدسي فقد عرفها بأنها الوحدة الإدارية الأصغر من الناحية تتميز بالمزارع ،وتاريخياً القرية تشكل مجتمعاً زراعياً صغيراً **(المقدسي ، 2012 ، ص 86)** . وقد ترتفع القرية عند ابن حوقل في كتابة "صورة الأرض " الى مرتبة المدينة وفق معايير السكان والنشاط الاقتصادي **(البغدادي ، 1983، ص18)** . وهو يتفق مع المقدسي الذي وضع تصنيف هرمي للتجمعات العمرانية أوحى بإمكانية الانتقال من مرتبة الى أخرى وفق المعيار السكاني والإداري والاقتصادي . نجد ان المقدسي **بناءً** على ما تقدم تميز بدقة وصفة للمدن الإسلامية ومنها مدينة بغداد ، التي جعلها كياناً عمرانياً متكاملاً نتيجة لتضافر عدة عناصر ساعدت على تطورها الحضري من أهمها :
1 – الموقع الجغرافي :
أشار المقدسي في وصفة بغداد الى عظمتها حيث قال (بغداد مدينة السلام ، في وسط العراق ، على دجلة ، وهي حاضرة الدنيا ومجمع الناس، واليها تنتهي الطرق ، ومنها تتفرق ، وقد احدق بها السواد ، واتصلت بها القرى والرساتيق **(المقدسي ، 2012 ، ص126)** ، وهو بهذا حدد موقعها في وسط

إقليم العراق على نهر دجلة الذي شكل الهوية الجغرافية للمدينة وساعد على شطرها الى قسمين متكاملين (ودجلة تشق بغداد شقاً، فالكرخ على غربها والرصافة على شرقها)
(المقدسي ، 2012 ص75).

مما يدل على انتقال بغداد من مرحلة المدينة ذات المركز الواحد الى مرحلة التوسع متعدد النوى ، كما ساعد موقعها الوسيط على الربط بين طرق التجارة البرية في الشرق الأقصى وبلاد الشام ومصر والمغرب ، كما عمل موقعها ايضاً على جذب السكان نحوها ومن أقاليم متعددة وتنوع البضائع والأفكار التي ساعدت على تنوع بنيتها الحضرية .

وعليه يرى المقدسي ان التوسع العمراني لبغداد لم يكن عفوياً بل جاء نتيجة تفاعل الموقع الجغرافي مع شبكة الطرق والمياه مع الوظيفة السياسية التي جعلت من بغداد مدينة مركزية ذات تركيب حضري متنوع داخل الحضارة الإسلامية .

2– المعيار الاقتصادي والاجتماعي :

يرى المقدسي ان تحضر المدن لا يقاس بحجمها بل بقدرتها الإنتاجية والتجارية ، وعند وصفة لبغداد وفق هذا المعيار قال "وفيها من الأسواق ما لايحصى كثرة ، ومن الصناعات ما لا يوجد في غيرها" **(المقدسي ، 2012 ، ص130)** ، فقد شهد القرن الرابع الهجري ظهور العديد من الصناعات التي أسهمت في تقدم ورقي المجتمع البغدادي منها صناعة النسيج ، الورق ، الصياغة ، الصابون ، الزجاج ، التجارة **(الزركاني ، 2015، ص85)** .

وفي موضع اخر أشار الى حيوية نشاطها التجاري (أسواقها عامرة ، وارزاق أهلها دارة ، يجتمع فيها من أصناف الناس والتجارات ما لا يجتمع في غيرها)**(المقدسي، 2012، ص 131)** .

فحين زار بغداد في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وجد جانب الرصافة من بغداد يتميز بوجود أسواق متخصصة تنظم بحسب الحرف والسلع ، مما يدل هذا التخصص على تطور البنية الاقتصادية للمدينة ، ووجود وعي تخطيطي سهل الحركة التجارية ، بمعنى ان تخصص الأسواق في بغداد وأعطى صورة لمدينة متكاملة وظيفياً ومخططة مكانياً اعدت محركاً اساسياً لنموها الحضري .

3– البنية العمرانية والخدمات :

تعد المؤسسات الدينية " كالجامع "، في المدن الإسلامية مركز جذب عمراني ساعدت على نشوء أسواق واحياء بالقرب منها ، ويرى المقدسي ان الجامع مقياس لحيوية المدينة والنسبة السكانية فيها . فقد صنف الجامع حسب الموقع ، مواد البناء والزخرفة ، المساحة والتي جعلها معياراً حضارياً اساسياً لتصنيف المدن . ومن ابرز ما ذكره عن بغداد في هذا الجانب (ان في كل طسوجها جامع) **(راضي وشناوه ، 2023، ص85)** ، وذكر عدداً من الجوامع الكبرى منها جامع المنصور (جانب الكرخ) ، وجامع الرصافة ، جامع الخلفاء ، جامع سوق الثلاثاء .

كما ذكر الى جانب الجوامع الأسواق التي تعد من معالم المدينة العربية الإسلامية المهمة ، يوجد فيها العديد من الأنشطة التي يؤديها السكان ، ويكون في الغالب وسط المدينة مجاور للمسجد .

وقد أشار المقدسي الى تنوع الأسواق بين الكرخ والرصافة المتخصصة بالحرف والسلع التي تعكس مكانة بغداد كعاصمة للخلافة العباسية ومركزاً تجارياً عالمياً في القرن الرابع الهجري ، اما

الحمامات التي تعد احد الخدمات الصحية المهمة المرافقة للجامع في المدن الإسلامية ، فقد اكثر المقدسي من ذكرها ، وما فيها من اوصاف ما بين المدح والذم ، كما أشار الى تعدد الحمامات وكثرتها في بعض المدن الإسلامية ، منها بغداد ما بين حمامات عامة وخاصة ملاصقة للجامع او السوق او اطراف المدينة **(عثمان ، 1978 ، ص284) .**

قال عن بغداد "كثيرة الحمامات ، وافرة المرافق ، حسنة الأسواق ،تدل على سعة عيش أهلها ونظافة احوالهم " **(المقدسي ، 2012 ، ص155)** .

مما يدل ذلك على نضج الحياه الحضرية في بغداد وتكاملها ، ان المقدسي قدم نموذجاً حياً لمعايير تحضر المدن العربية ومنها بغداد التي لم ينظر الى تحضرها من جانب عمرانها فقط بل من خلال منظومة متكاملة (اقتصادية ، اجتماعية ، سياسية) .

الاستنتاجات :

1– صنف المقدسي العالم الإسلامي الى أقاليم عربية واقاليم اعجمية وفق معايير طبيعية وبشرية .

2– وجود تسلسل هرمي للمنطقة الجغرافية تبدأ بالإقليم ثم الكورة والقصبة وانتهاءً بالناحية والقرية .

3– تميز المقدسي بتقديم رؤية تحليلية للعوامل الجوهرية التي ساهمت في بناء المدينة العربية الإسلامية والتي تعد بغداد النموذج الأمثل لها في القرن الرابع الهجري . بدءاً من اختيار الموقع الجغرافي والبنية الاقتصادية والاجتماعية الى البنية العمرانية والخدمية .

المصادر

1. البغدادي، محمد بن حوقل. (1983). صورة الأرض ، دار صادر ، افست ليدن ، بيروت.
2. الجياشي، يحيى عبد الحسين.(2010). جغرافية الريف ، سلسلة محاضرات لمادة جغرافية الريف ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية.
3. حمدان، جمال. (1964). المدينة العربية ، القاهرة.
4. الدليمي، كمال عبد الله حسن.(2006). اصالة الجغرافية الإقليمية عند المقدسي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية.
5. راضي، رياض عبد الحسين و شناوه، أسماء عبد الرزاق. (2023). الوضع الديني للعراق كما رآه المقدسي ، بيت الحكمة ، العدد 57.
6. الزركاني، خليل حسن.(2015). الصناعة في بغداد للفترة 334 هـ – 555 هـ ، مجلة التراث العلمي العربي ، العدد الأول.
7. سوسة، احمد. (١٩٧٤). الشريف الادريس في الجغرافية العربية، ج١، نقابة المهندسين العراقيين، مكتبة صبري، بغداد.
8. عبد الحميد، قصي سعد.(2023). الثغور الإسلامية خلال العصر العباسي الأول ، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية ، العدد 29.
9. عبد الرحمن، بدوي.(1993). موسوعة المستشرقين ، الطبعة الثالثة ، بيروت.
10. عثمان، محمد عبد الستار. (1978). المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة.

11. علي، افراح احمد جلال محمد.(2023). الجوانب الاقتصادية لمدن بلاد الشام في كتب الرحالة المقدسي والقزويني دراسة مقارنة ، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية ، العدد 89، المجلد 2 كانون الأول.
12. المقدسي، إبراهيم احمد سعيد. (2012). اسهامات في الجغرافية والدراسات الإقليمية ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد 117.
13. المقدسي، محمد بن احمد.(2003). احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
14. ياقوت الحموي، شهاب الدين.(1993). معجم البلدان ، ج3 ، بيروت.

References

1. Al-Baghdadi, Muhammad ibn Hawqal. (1983). The Image of the Earth, Dar Sader, Leiden Offset, Beirut.
2. Al-Jayashi, Yahya Abdul-Hussein. (2010). Rural Geography, a series of lectures for the course Rural Geography, Al-Mustansiriya University, College of Education.
3. Hamdan, Jamal. (1964). The Arab City, Cairo.
4. Al-Dulaimi, Kamal Abdullah Hassan. (2006). The Originality of Regional Geography in Al-Muqaddasi, unpublished doctoral dissertation, College of Education, Al-Mustansiriya University.
5. Radhi, Riyad Abdul-Hussein and Shanawa, Asma Abdul-Razzaq. (2023). The Religious Situation of Iraq as Seen by Al-Muqaddasi, Bayt al-Hikma, Issue 57.
6. Al-Zarkani, Khalil Hassan. (2015). Industry in Baghdad during the period 334 AH – 555 AH, Journal of Arab Scientific Heritage, Issue 1.
7. Sousseh, Ahmed. (1974). Al-Sharif Al-Idrisi in Arab Geography, Vol. 1, Iraqi Engineers Syndicate, Sabri Library, Baghdad.
8. Abdul Hamid, Qusay Saad. (2023). Islamic Borders During the Early Abbasid Era, Journal of the College of Basic Education, Al-Mustansiriya University, No. 29.
9. Abdul Rahman, Badawi. (1993). Encyclopedia of Orientalists, Third Edition, Beirut.
10. Othman, Muhammad Abdul Sattar. (1978). The Islamic City, Alam Al-Ma'rifah.

11. Ali, Afrah Ahmed Jalal Muhammad. (2023). Economic Aspects of the Cities of the Levant in the Books of the Travelers Al-Muqaddasi and Al-Qazwini: A Comparative Study, Diyala Journal of Humanities Research, No. 89, Vol. 2, December.
12.Al-Muqaddasi, Ibrahim Ahmed Saeed. (June 2012). Contributions to Geography and Regional Studies, Journal of Historical Studies, Issue 117.
13. Al-Muqaddasi, Muhammad ibn Ahmad. (2003). The Best Divisions for Knowledge of Regions, First Edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut.
14. Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din. (1993). Dictionary of Countries, Vol. 3, Beirut.

(Urban Growth of the City of Baghdad according to the writings of the traveler Al-Maqdisi)
A geographic-historical study

Assist. Prof. Dr. Muntaha Taima Enad
Al-Mustansiriya University –
College of Basic Education –
Department of Geography

Lect. Dr. Nagham Ahmed Musleh
Al-Mustansiriya University –
College of Basic Education –
Department of Geography

Abstract:
This research examines the concept of urban growth and the key factors that contributed to the urbanization of Baghdad, the capital of the Abbasid Caliphate, in the 4th century AH (10th century CE). It draws on the perspective of the traveler al-Muqaddasi in his book "Ahsan al-Taqasim fi Ma'rifat al-Aqalim" (The Best Divisions for Knowledge of the Regions), written in 375 AH (985 CE). This work is considered one of the most important sources of human geography for both Arab and foreign geographers, distinguished by its descriptions of the economic, social, and cultural characteristics of the inhabitants of the Islamic regions at that time. It also provides a description and analysis of the urban structure of Islamic cities and establishes a link between urban planning and the economic and social role of the city.

Keywords: Urban growth, al-Muqaddasi, Baghdad